دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الترجمة وإشكالية المصطلح اللساني والنقدي
المصدر:	قوافل
الناشر:	النادي الأدبي بالرياض
المؤلف الرئيسي:	بوعطية، سعيد
المجلد/العدد:	ع35
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	مارس
الصفحات:	218 - 233
رقم MD:	820550
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase
مواضيع:	الترجمة، اللسانيات، علم المصطلح
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/820550

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الترجمة وإشكالية المصطلح اللساني والنقدي

د.سعيد بوعيطة ـ المغرب

توطئة:

إذا كانت المصطلحات مفاتيح العلوم حسب الخوارزمي، فقد ازدادت أهميتها في عصرنا الراهن بشكل أكثر؛ وذلك لارتباطها بشتى فروع العلوم واتجاهاتها وعلاقاتها مع مختلف الحقول المعرفية، أمام هذه الحاجة المعرفية الملحة أصبحت ترجمة المصطلحات اللسانية ومواكبة اشتقاقاتها الحديثة ضرورة إنسانية يستوجبها التواصل بين اللغات، وتعزيز ثروتها المعرفية.

بهذا التصور، فإن من أهم فرضيات البحث في الترجمة نقل المعارف التي يحددها المصطلح اللساني، وضرورة ضبطها على نحو يراعي الاحتياجات التواصلية للمتلقي. لكن الإشكال الحاصل بين الترجمة والمصطلح اللساني المعاصر يتجلى في طريقة النقل، أو التحويل لهوية هذا المصطلح؛ مما يجعله يعرف نوعًا من الانزياح عن المصطلح الأصلي؛ ذلك أن المصطلح اللساني المترجَم يقوم برحلة وظيفية -غالبًا ما يعرف خلالها مجموعة من الانزياحات سواء على مستوى التركيب أو الدلالة- عبر خطابات ومعارف متعددة من لغة إلى أخرى. كما يخضع لشبكة معرفية عالمية قد يتعذر التجانس بينها في بعض الأحيان. وقد لا يفي النقل المترجم لهذا المصطلح بغرض التكامل المعرفي العالمي المبني على المثاقفة اللسانية. لذلك كان موضوع التكامل بين المصطلح

اللساني والترجمة موضوعًا مهمًّا يحمل عدة مسائل نظرية. كما يثير إشكالات لغوية مهمة جديرة بالبحث والدراسة، نذكر من هذه الإشكالات: طبيعة البنية المعجمية للمصطلح المترجم. إشكالية المفهوم المتداول باعتباره مدونة من الكلمات التي يتم نقل معناها إلى اللغة الهدف. صعوبة ضبط المصطلح اللساني المعادل، ورصد السياقات والقرائن التي ورد فيها الاستعمال المدون للمصطلح المترجم. تحديد مستويات التحليل اللساني للمصطلح المترجم صوتيًّا وتركيبيًّا ودلاليًّا وصرفيًّا.

هذه الدراسة:

إن الوعي بأهمية الدور المعرفي الذي يربط المصطلح اللساني بالترجمة وارتباطه كذلك بأغلب الحقول المعرفية -خاصة النقد- جعل هذه الدراسة تثير جملة من الأسئلة، أهمها: ما الإشكاليات التي يثيرها المصطلح المترجم؟ لماذا ارتبطت هذه الإشكالية بالبحث اللساني بشكل بارز؟ ما هي أهم نماذج الأعمال المترجمة التي عرفت هذه المفارقة المصطلحية (الانزياح)؟ ما هي إشكالية المصطلح الممكن إيجادها في اللغات الأجنبية (المترجم) عنها؟ كيف أثرت هذا الانزياحات المصطلحية في المتلقي العربي؟ ما هي السبل الممكنة لتجاوز هذه المعضلة؟ انطلاقًا من هذه الأسئلة المحورية وغيرها، حاولت هذه الدراسة إثارة سؤال المقاربات النظرية والتطبيقية لإشكالية ترجمة المصطلح اللساني. وما يتصل بهذا السؤال من قضايا معرفية، باعتبار المصطلح وسيطًا بين الترجمة والعلوم الأخرى: علم اللغة، المنطق، الإعلاميات، علم الأصوات، علم الدلالة، البلاغة والأسلوبية، والتداوليات... إلخ. بحيث سنقف عند مظاهر عجز الترجمة عن مواكبة المصطلح اللساني المتجدد، وسبل تداركه، والوقوف عند إشكالية التفاعل بين الآليات المنهجية التي تعتمدها الترجمة العربية والمضمون المعرفي للمصطلح اللساني الأجنبي. وكذا التركيز على أهمية التكامل المعرفي في الإحاطة بالمصطلح المنقول. كما وقفت هذه الدراسة عند بعض

النماذج من الأعمال المترجمة (خاصة اللساني نعوم تشومسكي، وأعمال الناقد الفرنسي رولان بارت باعتبارها من أكثر الأعمال تداولًا في الوطن العربي)، مع الإشارة إلى نماذج من المصطلحات المترجمة التي يعتورها هذا الخلل. كما ربطنا هذه الإشكالية بما تعرفه بعض اللغات الأجنبية كذلك (الإنجليزية... إلخ...) واللسانيات الأمريكية والإنجليزية من مفرقات مصطلحية في بعض الأحيان. وللبحث عن مخرج لهذه الإشكالية أوردنا اقتراحات بعض الباحثين، وعلى رأسهم عبد القادر الفاسي الفهري؛ لنصل بعد ذلك إلى مجموعة من الاستنتاجات.

أهمية المصطلح المترجم وإشكالاته:

يعد البحث في أية مقاربة اصطلاحية ضمن أي حقل معرفي ركنًا أساسيًّا؛ ذلك أنه ينبه إلى بعض قضايا المصطلح النقدي، كما يمد الباحث بالمصطلحات اللازمة مع ضبط حدودها. إن قضية المصطلح من أهم القضايا التي تواجهها مجموعة من الحقول المعرفية (خاصة النقد العربي الراهن، وما يرتبط به بشكل وثيق، كما هو شأن البحث اللساني). لكن على الرغم من أنه -في بعض الأحيان- يتجاوز الأمر مسألة المصطلح؛ ليصل إلى المفردات العادية و الألفاظ. فهناك عدم الدقة والتشويش في استعمال كثير من الكلمات. وكل مصطلح إنما يكتسب دلالته انطلاقًا من الاختصاص نفسه. و بهذا يرد اختلاف دلالات المصطلح الواحد تبعًا لاختلاف اختصاصات واهتمامات الباحثين. كما تزخر الدراسات والمترجمات بمصطلحات غنية ومتعددة، لكنها تحمل نوعًا من التسيب، ولا تلتزم بضابط محدد. ولعل هذا ما يؤثر بشكل سلبي على الدراسات من جهة، وعلى المتلقي من جهة ثانية. هذا الأخير الذي غالبا ما يواجه عددًا كبيرًا من المصطلحات التي تعرف نوعًا من الخلط والتضارب. ترتبط إشكالية المصطلح في ثقافتنا العربية ارتباطًا وثيقًا بإشكالية انتقال النظرية المعرفية عامة، وحراك المفاهيم والأفكار التي تشكل المسار الطبيعي للعمليات الذهنية

المتعاملة مع قواعد المعرفة والنظرية. وذلك من خلال وجود مساحة كبيرة فاصلة من المعاني والدلالات والطاقات المحركة للتأويل والقراءة ضمن عملية الترجمة؛ لكون هذه الأخيرة تشكل نوعًا من التحويل من لغة لأخرى، حسب الباحث طه عبد الرحمن[1]. لكن على الرغم من ذلك، فإننا لا نعمل على تعميم إشكالية المصطلح؛ ففي مجال النقد الأدبي -على سبيل المثال لا الحصر- تنشط جهود ملحوظة في حفر مصطلحات عربية تتقاطع مع تجارب وممارسات منغمسة في مقاربة النصوص والمادة الإبداعية بشكل عام. لكن على الرغم من تميز بعض هذه التجارب بنوع من الفوضى والمفارقات الدالة على ارتباط تعددية المصطلح، بتعددية القراءة، خاصة عند تأمل مظاهر انزياحات أعمال الترجمة؛ فإن المجمل العام لمشاغل النقد العربي، يشي بتحولات يكمن مصدرها في تمثل النظرية والمنهج والمصطلح التي تتجلى ممارساتها أساسًا عند كثيرين ممن ترجم لهم: جورج لوكاتش، لوسيان جولدمان، رولان بارط، ميشال فوكو، جاك دريدا وغيرهم. مما يجعل إشكالية المصطلح أبعد مما نتصور. كما أنها لا تقتصر على ميدان دون غيره. بل تطأ مجالات المعرفة برمتها، وتهاجر منها إلى أخرى. إنها تطأ تخوم النظرية، وتمارس آلياتها وشبكة تصوراتها؛ من أجل أن تنسل أفكارها في نظرية جديدة. كما تطأ الأجناس الأدبية أيضًا، فتهاجر من جنس أدبي إلى آخر. وتطأ ميدان الإصلاح اليومي بكل تشعباته وتعقيداته. إن إشكالية المصطلح النقدي باعتبارها إشكالية شاملة تثير العديد من الأسئلة في مجال النظرية والمفاهيم، كما في مجال العلوم اللغوية. وهي أسئلة تتسع لتنتشر معها أسئلة وموضوعات متشعبة. وبهذا تعدد الدراسات والأبحاث العربية التي تناولت هذه الإشكالية وما ارتبط بها. نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

١- عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ١٩٩٤.

٢- عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨.

٤- السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح (دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، الجزائر، ٢٠١٤.

اللسانيات وسؤال المصطلح المترجم:

تعد اللسانيات من أكثر الحقول المعرفية التي ارتبطت بها إشكالية المصطلح؛ نظرًا لتشعب اهتماماتها من جهة، وكذا ارتباطها بمختلف الحقول المعرفية الأخرى؛ وعلى رأسها النقد الأدبي. يقول محمد رشاد الحمزاوي: (وتزداد القضية تشعبًا عندما ننظر إلى الأساليب الفنية التي ترجمت بها هذه المصطلحات.. ولابد أن نشير في هذا الصدد إلى أن كل الترجمات لا تعي فنياتها وعيًا علميًّا مركزًا)[٢]. كما أن اللجوء إلى الترجمة -حسب تصور-، يثير قضية المطابقة بين المصطلح اللغوي والواقع، وكذا قضية الترادف بين اللغات. ويضيف أن اللجوء إلى الترجمة لن يؤتى أكله (إلا إذا استقلت اللغة المترجم إليها بنظرياتها، وأصبح لها من الزاد الاصطلاحي الذي يوفر لها التكثيف والتحوير والإسقاط)[٣].

وبهذا يربط أغلب الباحثين هذه الإشكالية بمجموعة من القضايا الأخرى. نذكر من بينها:

أ - عدم الدقة عند وضع المصطلح: يربط الباحث عمر أحمد مختار في بحثه «دراسة الصوت اللغوي» إشكالية المصطلح في الحقل اللساني، بعدم الدقة في فهم ما يعبر عنه (أو ما تتم ترجمته). ويورد مجموعة من الأمثلة؛ للتدليل على ذلك. ومن ذلك مثلًا، عدم التفريق بين المصطلحين الإنجليزيين: nasality

nasalization، مع أن الأول يعني تسرب الهواء كليًّا من خلال فتحة الأنف، والثاني يعني تسرب الهواء من الأنف مع استمرار تسربه من الفم. وذلك كما يحدث في نطق بعض العلل. وقد استخدم المهتمون للأول مصطلح الأنفية، وللثاني مصطلح التأنيف. أما المثال الثاني فيتجلى في عدم التمييز بين الغاري Palatal والمغور palatalized؛ فالأول ينطق عن طريق نطق مفرد في منطقة الغار، و الثاني ينطق باجتماع النطق الغاري مع نطق آخر معين. وبهذا يمكن التفريق كذلك بين الصوت الطبقي velar والمطبق velarized، والصوت المهموس، والمهمس والصوت المجهور، والمجهر.

ب- اختلاف الباحثين في ترجمة المصطلح الواحد: يرى الباحث التونسي عبدالسلام المسدي أن هذه المصطلحات تعرف نوعًا من التنوع في طريقة وضعها بين التعريب الكامل، والتعريب الناقص، والترجمة الحرفية، والترجمة الواسعة، والتفسير[٤]. ويبرز هذا بشكل جلي حين تتم ترجمة بعض المصطلحات أو نفس الكتاب من قبل مترجمين أو أكثر. مما يجعل المصطلح المترجم يعرف انزياحات بارزة ترتبط خاصة -حسب تصورنا- بسببين أساسيين:

ج - سوء الترجمة المرتبط بعدم إتقان اللغة من طرف المترجَم منها أو إليها.

د - عدم تخصص الباحث في مصطلحات العلم الذي يدرسه؛ مما يجعله يحيد عن الصواب، ويزيد الهوة اتساعًا والمشكلة إشكالًا.

نورد مجموعة من الانزياحات (نماذج بعض الأعمال، ونماذج بعض المصطلحات)؛ من أجل تبيان عدم الدقة واختلاف الباحثين في ترجمة المصطلح نفسه كما أشرنا.

انزياحات الترجمة (نماذج):

كثيرة هي الأمثلة التي تشير إلى انزياح الترجمة، سواء تعلق الأمر بمصطلحات متداولة، أو مجموعة من الأعمال النقدية. ونورد في هذا الإطار

بعض الأعمال التي عرفت تداولًا بارزًا في الساحة النقدية العربية. يتعلق الأمر بعمل للساني نعوم تشو مسكي، وبعض أعمال الناقد الفرنسي رولان بارت. هذا الأخير الذي عرفت أعماله تداولًا واسعًا على مستوى العالم العربي. كما هو شأن الأعمال اللسانية لتشومسكي. عرف كتاب نعوم تشومسكي المعنون -new horizon in the study of language and mind- (الصادر عن المطابع الجامعية بكامبردج عام ٢٠٠٠). ترجمتين عربيتين. لكن الاختلاف (الانزياح) بين المترجمين يبدأ من العتبة (عنوان الكتاب)؛ فقد ترجمه الباحث حمزة بن قبلان المزيني ب:- آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن - (٢٠٠٥). فيما ترجمه الباحث عدنان حسن ب:- آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل - (٢٠٠٩). وللاقتراب أكثر من هذا الاختلاف نورد مجموعة من المصطلحات؛ لتبيان مدى الاختلاف بين الترجمتين، وتحقق هذا الانزياح من خلال الجدول التالي:

الصفحة	مصطلح حمزة المزيني	الصفحة	مصطلح عدنان حسن
العنوان	الذهن	العنوان	العقل
١٤٤	عود الضمائر	١٠٢	الأنفورية (العائدية)
١٤٤	معين	١٠٢	محدد
١٤٥	الصواتية	١٠٣	الفونولوجي
١٤٥	المقولات الفارغة	١٠٤	الفئات الخالية
١٤٦	اللايقين	١٠٤	الأحسمية
١٤٩	القضايا الغيبية	١٠٧	القضايا الميتافيزيقية
١٥٠	البحث العلمي الطبيعي	١٠٩	الاستعلام الطبيعي
١٥٠	طريق النطق	١٠٩	اللفظ
١٥٠	الصرف	١٠٩	المورفولوجيا
١٥٠	بنية الجملة	١٠٩	تركيب الجملة

يرى الباحث صابر الحباشة (انطلاقًا من هذا الاختلاف) أن الترجمات

المتعددة للأثر الواحد تدل على وعي بأهمية ذلك الأثر. لكنها تعبر كذلك عن ضعف التنسيق بين المترجمين العرب. ومن ثم الحاجة إلى قائمة عامة بالأعمال المترجمة؛ حتى لا تضيع الجهود سدى. فلو ترجمنا كتابًا آخر لتشومسكي لكان أفضل من إعادة ترجمة كتاب واحد له. خصوصًا أنه يبدو أن صاحب الترجمة اللاحقة لم يطلع -سهوًا أو قصدًا- على الترجمة الأولى[٥]. فيما يرى الدكتور سعيد السريحي أن (ترجمة المصطلح تشكل عبئًا آخر، فنحن حينئذ لا نسمي شيئًا ننتجه، بل نحاول أن نعثر على تسمية لمنتج خارج سياق اللغة التي نتعامل بها. ولذلك فإن ترجمة المصطلح لا تعني تسمية الشيء بقدر ما تعني تسمية تسمية الشيء... ومن هنا فإن الاعتباطية التي تقوم بين الدال والمدلول لا تتحقق تمامًا؛ لأن العلاقة هنا ليست بين دال ومدلول، وإنما بين دال ودال آخر ينتسب كل واحد منهما إلى ثقافة تختلف عن ثقافة الآخر)[٦]. وحتى لا نظل عند حدود إعلان النوايا، نورد نموذجًا بارزًا في إطار هذه الترجمات.

إنه الناقد الفرنسي رولان بارت / R. BARTHES الذي يعد من أبرز النقاد الذين عرفت أغلب أعمالهم ترجمات عربية مختلفة. خاصة أعماله: درجة الصفر في الكتابة، مدخل إلى التحليل البنيوي للسرد، النقد والحقيقة، الأسطورة اليوم... إلخ.

أ- le degré zéro de l'écriture: عرف هذا الكتاب عدة ترجمات عربية مختلفة:

١ - الكتابة في درجة الصفر، لنعيم الحمصي (دمشق١٩٧٠).

٢ - الكتابة في الدرجة الصفر، لمحمد البكري (الدار البيضاء ١٩٧٨).

٣ - درجة الصفر للكتابة، لمحمد برادة (الرباط ١٩٨١).

يرى الناقد سعيد علوش[٧] أن مثل هذه العنونة تحفز الباحث على إجراء مقارنات على مستويات عدة: معجمية، تركيبية، شعرية... إلخ... بين الترجمتين

المغربيتين لفصل:(انتظام الكتابة) من الكتاب السابق عند محمد البكري ومحمد برادة. والترجمتين المغربية والسورية في فصل: (ما هي الكتابة) من نفس الكتاب عند محمد برادة ونعيم الحمصي.

ب- introduction à l'analyse structurale de texte :

عرف كذلك هذا العمل ترجمات عدة؛ فقد تعاقب على ترجمته ستة مترجمين بعناوين مختلفة. بحيث تبرز المفارقة على مستوى العنوان بشكل جلي، ناهيك عن المستويات الأخرى للدراسة. نبين ذلك الاختلاف على مستوى العنوان، وإن اقتربت بعض الترجمات على مستوى المصطلح (الترجمة المغربية وترجمة أنطوان أبو زيد)؛ فقد تباعدت على مستوى الصياغة من خلال الجدول التالي:

تفاصيل المترجم	البلد	سنة الترجمة	عنوان الترجمة	دار النشر
نزار صبري	العراق	١٩٨٦	التحليل البنيوي للقصة القصيرة	بغداد
أنطوان أبو زيد	لبنان	١٩٨٨	مدخل إلى تحليل السرد بنيويًا	زدني علمًا،لبنان
نخلة قديفر	لبنان	١٩٨٩	مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص	بيروت
بشير قمري، حسن بحراوي، عبد الحميد عقار	المغرب	١٩٨٨	مدخل إلى التحليل البنيوي للسرد	آفاق، الرباط

كما عرفت أعمال رولان بارت الأخرى هذا الاختلاف. نذكر من بينها: لذة النص، النقد والحقيقة، الأسطورة اليوم. هذه الأمثلة وغيرها من أعمال الترجمة، تضعنا أمام إشكالية أخرى يسميها الناقد سعيد علوش بإشكالية

التنوع بين الكلمات والأشياء[٨]. إن هذه الانزياحات المصطلحية لا تشكل معضلة على مستوى الحقول المعرفية العربية والممارسات النقدية، بل تتجاوز ذلك لتشكل عوائق أمام التلقي والتداول المعرفي العربي. إذا كانت هذه المعضلة قد ارتبطت أساسًا بالباحثين العرب، فقد ارتبط جانب منها كذلك باللغة المترجم عنها (الأجنبية) التي تعرف بدورها بعض المفارقات على مستوى المصطلح. مما جعلها تزيد من حدة هذه الإشكالية.

إشكالية المصطلح في اللغات الأجنبية:

إن بعض ما ينقل إلى اللغة العربية من مشكلات يرتبط كذلك باللغة أو اللغات المنقول عنها المصطلح. ومن أمثلة ذلك -على سبيل المثال لا الحصر- المصطلحان الإنجليزيان phonology ،phonetics؛ فعلى الرغم من كثرة ترددها في اللغة الإنجليزية، فإننا نجد لهما عددًا من التفسيرات التي توقع الباحث والمتلقي معًا في حيرة وارتباك؛ فقد وظف دي سوسير لفظ phonetics للدلالة على ذلك الفرع من العلم التاريخي الذي يعمل على تحليل الأحداث والتغيرات والتطورات، واعتبره من أجل ذلك جزءًا أساسيًّا من الألسنية. في حين حدد مجال الـ phonology في دراسة العملية الميكانيكية للنطق، وعده من أجل ذلك علمًا مساعدًا للألسنية. أما مدرسة براغ اللسانية فتوظف مصطلح phonology في عكس ما وظفه فيه دي سوسير؛ إذ تريد به ذلك الفرع من الألسنية الذي يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية، ولذلك نجدها تعتبر الفونولوجي فرعًا من الألسنية. أما الفوناتكس فقد أخرجه معظم باحثيها من الألسنية، واعتبروه علمًا خالصًا من علوم الطبيعة، يقدم يد المساعدة للألسنية فقط.

أما الألسنية الأمريكية والإنجليزية فقد استعملت مصطلح فونولوجي لعشرات السنين في معنى تاريخ الأصوات، ودراسة التغيرات والتحولات التي تحدث في أصوات اللغة نتيجة تطورها. وهو حينئذ يكون مرادفًا لما يسمى historical

phonetics أو diachronic phonetics. أما مصطلح فونتكس فقد استعمل في معنى العلم الذي يدرس الأصوات الكلامية، ويصنفها ويحللها من غير إشارة إلى تطورها التاريخي. وإنما فقط للإشارة إلى كيفية إنتاجها. وعلى هذا الأساس فالفرعان يرتبطان بصميم الألسنية، وإن دخل الأول تحت فروع الألسنية التاريخية، والثاني تحت فروع الألسنية الوصفية. كما نجد مجموعة أخرى من الباحثين، تعمل على رفض الفصل بين ما يسمى فونولوجي، وما يسمى فونتكس؛ بدعوى أن أبحاث كل منهما تعتمد على الأخرى. وأقروا بوضع الاثنين تحت مصطلح فونتكس، أو تحت مصطلح فونولوجي، ومن أجل تجاوز هذا اللبس في توظيف المصطلحين ظهر المصطلحان الجديدان: phonematics وphonemics باعتبارهما بديلين للمصطلح فونولوجي. وبهذا فقد استقر أغلب الباحثين في المجال اللساني على تخصيص الفونولوجي للدراسة التي تصف وتصنف النظام الصوتي للغة معينة. أما مصطلح فونتكس، فيقصرونه على دراسة أصوات الكلام مستقلة عن تقابلات نماذجها، وعن تجمعاتها في لغة معينة. ودون نظر إلى وظيفتها اللغوية، أو حتى معرفة اللغة التي تنتمي إليها. وهم قليلًا ما يوظفون الآن فونيمكس. كما أنهم نادرًا ما يستعملون مصطلح فونيماتكس.

إن هذا الاختلاف والتعدد المصطلحي الذي عرفته اللغات الأجنبية ألقى بظلاله بشكل كبير على دراسات الباحثين العرب في هذا المجال. وبهذا وظفها كل واحد حسب دراسته ومدرسته اللسانية والمرجعية المعرفية التي اعتمدها، كما امتد هذا الاختلاف ليشمل طريقة التعبير عن مفهوم معين باللغة العربية. فمنهم من أبقى مصطلح "فوناتكس" وعربه إلى فوناتيك. ومنهم من عبر عن هذا المصطلح بـ: "الصوتيات"، أو "علم الأصوات" أو "علم الأصوات اللغوية" أو "علم الأصوات العام". إن الشيء نفسه بالنسبة لمصطلح "فونولوجي". بحيث نجد من وظف المصطلح على حاله وعربه إلى

"فونولوجيا"، ومنهم من استبدله بمصطلح "علم الفونيمات"، أو "علم الأصوات" أو "علم الأصوات التاريخي" أو "علم الأصوات التنظيمي"، أو "علم وظائف الأصوات" أو "علم التشكيل الصوتي"، أو "علم الأصوات التشكيلي" أو "الصوتمية"[٩]. وعلى الرغم من أن الأبحاث والدراسات العربية في المجال اللساني قد عرفت نوعًا من التراكم ساهم بدوره في حدوث تراكمات في المفاهيم والمصطلحات التي تم نقلها إلى اللغة العربية، فإن هذا التراكم أدى بدوره إلى اضطراب على مستوى المصطلح. مما جعل المصطلح الألسني العربي يظهر بمظهر العاجز عن مواكبة النشاط اللساني العالمي. ولعل هذا ما سبب الكثير من الارتباك، وأدى إلى عدد غير قليل من السلبيات، نذكر من بينها:

أ- كون الكثير من المصطلحات الألسنية العربية الحديثة أقرب إلى التعريب أو الترجمة الحرفية. مما أدى إلى انتقال مشكلات التعريب والترجمة إلى دائرة المصطلح الألسني؛ لكون تصنيف المفاهيم يختلف من لغة إلى أخرى، ومن ثقافة إلى أخرى، وبهذا فمن الصعب الحصول على لفظ مطابق في لغة ما للفظ آخر؛ مما يضع مجموعة من العراقيل أمام الترجمة الدقيقة؛ لكون هذه الأخيرة تقتضي تطويع اللغة مبنى ومعنى لاحتضان مقابلات الصيغ والمفاهيم. وهو ما لا يتوفر بسهولة في لغتنا. وترجمة المصطلح إلى اللغة العربية تقتضي وضع مقابل عربي للمصطلح الأجنبي. وهو ما قد يتعذر الحصول عليه في شكل كلمة واحدة؛ لكون المصطلح الأجنبي يكتسب جزءًا من معناه عن طريق ما التصق به من سوابق أو لواحق. وقد يضطر المترجم (في هذه الحالة) إلى استخدام لفظين. مما يجعل المصطلح صعب التصريف، وثقيلًا في الاستعمال (التداول).

ب - تعدد المصطلح وضبابيته. ويرتبط ذلك بعدة أسباب (حسب مجموعة من الباحثين) نذكر من بينها:

١ - الترجمة الحرفية وإهمال بيئة المصطلح، تقف وراء اضطراب المصطلح وغموضه.

٢- اختلاف المدارس، وتباين النظريات التي يتكئ عليها الدارس العربي من أساب تأزم المصطلح.

٣- عدم معرفة الباحث (المترجم) الأسس المعرفية واللغوية للمصطلح النقدي في اللغة الأصل.

انزياحات المصطلح والمتلقي العربي:

غالبًا تخلق الترجمة نوعًا من الانزياح على جميع مستويات للمصطلحات الأكثر تداولًا. فعندما نقف (مثلًا) على انزياح آخر من نفس الاختلاف بين المغرب في مصطلح «أفق الانتظار» والمشرق في مصطلح «أفق التوقعات» مقابل المصطلح الأصل « horizon d'attente "؛ فإن المتلقي العربي لا يكلف نفسه عناء التساؤل عن الخلفيات الفكرية في تاريخ أفكار هذه المصطلحات، واستعمالاتها عند الأب الروحي الذي صنعها. إن ياوس لا يستعمل "أفق الانتظار" فقط، بل يتوالد هذا الأفق لكي يعطي: (أفق التجربة/ أفق تجربة الحياة/ بنية الأفق/ التغيير في الأفق/ أفق الفهم المادي/ أفق المعنى/ أفق الوصف/ أفق الموقف) إلخ... فهل على المتلقي العربي الاكتفاء بالبعد المعرفي الأول لانزياح المصطلح النقدي بين مترجمين مختلفين؟ أم أن عليه استقراء السياق المحيط وتجاوز التسميات إلى مسمياتها، أي تجاوز الكلمة إلى الشيء؟ انطلاقًا من هذا السؤال المحوري يشير الباحث منير أحمد التريكي في نفس السياق (أذكر أن كلمة modality التي إذا ما فتحنا قاموس اللسانيات وجدناها تترجم باللامشروطية، وهذه ترجمة لا تعني للقارئ العربي شيئًا... غير أننا إذا حاولنا أن نعرف معنى كلمة (modality من خلال رجوعنا إلى تعريفها وضوابطها -وما قاله عنها العلماء في اللغة الإنجليزية- رأينا أن بإمكاننا أن نترجمها بصبغة القول. وهو تعبير يشتمل

على المحتوى، وعلى وجهة نظر المتكلم فيما يقول، وصبغة القول بذلك تعبر عن فهم للكلمة الأجنبية، وتعني شيئًا كذلك في الثقافة العربية)[١٠]. كما يندرج هذا الانزياح ضمن استبدالية للتعريف الخاضع لآليات النقل بتعريف يقتضي تجاوز الأول بدعوى فراغه من الدلالة العربية المألوفة من جهة، واستبدال هذا الأول بتعريف يفترض فيه وجود الشحنة الدلالية العربية. أما كيف ولماذا يتم هذا الاستبدال؟ فهو أمر يمكن أن يتم فيه التنازع بين انزياح التعريفين؛ لأن المصطلحين معًا لم يخضعا للاختبارية، كما أننا لا ندري شيئًا عن صدى تلقيها وتداولها. ولا يكفي الاجتهاد هنا في حالات الاستبدال والتصحيح التي قد يكون بإمكان المرسل أو المتلقي أن يجريهما على أي اصطلاح كيفما كان نوعه؛ لأنه قابل باستمرار للخضوع لهذا النوع من الجراحات التجميلية والباطنية. إن أي عملية من هذا النوع لابد لها من تأويل مقبول في النظرية النقدية، وفي تاريخ الأفكار. يشير الباحث حمزة قبلان المزيني إلى أن (المصطلح في لغته والمصطلح المترجم كلاهما متوازيان في علاقتهما بالمسمى. ولذلك أقول: إن المصطلح المولد في لغته ليس أقرب في التسمية من المصطلح المترجم إلى الشيء المسمى؛ فكلاهما في الواقع يمكن النظر إليه على أنه إبداع للتسمية)[١١]. وبهذا فلا تكمن القضية في إبداع شيء معين، بل في إبداعه ضمن منطق يمتلك كفايته النقدية. بل يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك باعتماد نقد مزدوج للأصل والفرع على السواء؛ لأن الإشكالية ليست (أحيانًا) في الترجمة أو التكييف، بل في النوعية والتداول. وفي هذا الإطار يشير حسن عطية طمان إلى أن (إدخال المصطلح عن طريق جماعة اللغة أنفسهم أمر سهل، ولكن الإحلال -وهو أن نجد كلمة تحل محل كلمة، وتقوم بطردها- هو أمر صعب. فإذا استقر اللفظ الأجنبي كان على المصطلح العربي أن يقوم بمهمتين: الأولى أن يجد لنفسه قبولًا في الجماعة اللغوية، والثانية أن يطرد اللفظ الأجنبي... وهذا يعني أن هناك ضوابط عقلية)[١٢]. لكن على الرغم من كون الأسئلة تحيط بنا من كل جهة فإن الأمر يستوجب

إضاءتها ولو نسبيًّا. وذلك من خلال ما يقترحه بعض الباحثين العرب.

لكن إلى أين المفر؟

أمام هذه الإشكالات والمعضلات المرتبطة بالمصطلح وعلاقاته بمختلف العلوم ارتفعت أصوات مجموعة من الباحثين. تقترح بعض الحلول والبدائل الممكنة. يقترح الباحث المغربي عبد القادر الفاسي الفهري لاقتحام مشكلة ترجمة المصطلح البدء بمعاينة الحقول الدلالية في كل من اللغتين[١٣]، ثم إقامة ما يمكن إقامته من مناسبات. وفرز ما ليس له مقابل في اللغة الهدف، ويحتاج إلى الوضع والتوليد. كما يرى أن تتبع الحقول الدلالية في اللغتين قد يساعد على تلافي اضطراب الترجمة، ويضرب الفهري لذلك مثلًا بالمصطلح sign الذي يترجم إلى رمز، علامة، إشارة، دليل؛ فلو نظرنا إلى أسرة sign لوجدنا symbol من جهة، و signifier و signified من جهة أخرى. وحين تحدث دي سوسير عن الـsign بين أنه اعتباطي. في حين أن الـsymbol توجد فيه العلاقة بين الدال والمدلول؛ فالأقرب أن يترجم symbol إلى "رمز" وأن يترجم sign إلى دليل "دليل"، باستعمال نفس المادة المعجمية التي اشتق منها الدال signifier والمدلول signified والدلالة signification. أما "علامة" فالأقرب أن تكون ترجمة لكلمة mark. وأما إشارة فتقابل demonstrative. كما نجد من يعتبر التعريب وسيلة مرحلية ينبغي أن تعقبها وسيلة أخرى، كالترجمة أو التعريب الجزئي. كما حدث بالنسبة لمصطلح فونيم الذي فضل بعضهم عليه فيما بعد "الصوتيم"، وفضل بعضهم "الصوت المجرد" أو "الوحدة الصوتية" أو "المستوصت".

الاستنتاجات:

يجمع أغلب الباحثين على أن إشكالية انزياحات المصطلح الناتج عن هذه الترجمة، لا تكمن في الإشكالية في حد ذاتها. بل في «مشروعية» أو «لا مشروعية» هذه الانزياحات؛ مما يقتضي إبداع المصطلح، أو صناعته صناعة هرمنوتيكية تقبل

الصمود أمام الاختيارية المنطقية في نظرية المعرفة. كما يسترعي الانتباه في هذه الانزياحات اندراجها في حقول معرفية غير مبررة؛ غالبًا ما يرجع لطابع اللامبالاة بأعمال الآخرين، أو التجاهل العارف بها؛ إذ يشتغل الباحث العربي داخل جزر -تكاد تكون مستقلة بذاتها- لا يعترف فيها اللساني بالأديب، ولا المترجم بالناقد، كما لا يستأنس فيه الناقد بمؤرخ الأفكار الأدبية، ناهيك عن دور الجامعات في هذه القطيعة، وهي التي يفترض فيها أن تكون مراكز تواصل وسلطة معرفية.

وبهذا فلا أحد يجادل في كون الترجمة في العالم العربي تعيش واقعًا مرتبكًا؛ بفعل كثير من العوامل الثقافية والسياسية والأيديولوجية. وهو ما يقتضي حلولًا علمية جادة تنطلق من جعل اللغة العربية قاعدة لبناء ثقافة قومية شمولية، وإعطاء الترجمة بعدها القومي، وما يرتبط بها من محاور داعمة لتأصيل مفهوم الهوية العربية.

الحواشي:

(١) طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة - الفلسفة والترجمة، ط ٢ (الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي،٢٠٠٠م)، ص١٢٣.

(٢) محمد رشاد الحمزاوي: مشاكل وضع المصطلحات اللغوية (تونس: ندوة اللسانيات واللغة العربية،١٩٨١م)، ص٢٦٤، ٢٦٥.

(٣) السابق، ص٢٦٧.

(٤) عبدالسلام المسدي: قاموس اللسانيات (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م)، ص٧٢.

(٥) صابر الحباشة: مقاربة بين ترجمتين عربيتين، مجلة العربية والترجمة، ع١٠، صيف ٢٠١٢م، ص٩١.

(٦) سعيد السريحي: حوار حول قضية المصطلح، مجلة علامات، يونيو ١٩٩٣م، ص٤٥.

(٧) سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م)، ص١٦٢.

(٨) سعيد علوش: انزياحات المصطلح النقدي في الخطاب الأدبي العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية (جامعة البحرين)، ع٢، صيف ١٩٩٩م، ص١٨٤.

(٩) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ط٣ (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٥م)، ص٤٦،٤٥.

(١٠) منير أحمد التريكي: حوار حول قضية المصطلح، مجلة علامات، يونيو ١٩٩٣م، ص٢٧.

(١١) حمزة قبلان المزيني: المشكل غير المشكل ـ قضية المصطلح العلمي، مجلة علامات، يونيو ١٩٩٣م، ص١٣.

(١٢) حسن عطية طمان: حوار حول قضية المصطلح، مجلة علامات، يونيو ١٩٩٣م، ص٣٧.

(١٣) عبد القادر الفاسي الفهري: المصطلح اللساني، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، سلسلة اللسانيات، ع٦، المغرب، ١٩٨٦م، ص١٤٣.